

الأنساق المضمرة للسخرية ودلالاتها في مقامات بديع  
الزمان الهمدانيThe hidden patterns of ridicule and their significations  
in "Badie-Zaman Hamadani" Maquamat

د.راضية لرقم \*

Radia Larkem

كلية الآداب واللغات جامعة:الإخوة منتوري - قسنطينة (الجزائر)

University of Mantouri- costantine/ Algeria

larkemradia@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/07/15

تاريخ القبول: 2019/05/16

تاريخ الإرسال: 2018 / 10/18

مجلة إشكالات

تعد السخرية أسلوبا يتضمن معنى الاستهزاء، والذي يحمل دلالات المفارقة بين المقصود من الكلام والمصرح به، ويعبر من خلالها الأديب أو الشاعر عن رفضه لبعض الظواهر الاجتماعية أو السياسية، دون الإفصاح عن ذلك، في قالب فكاهي - ساخر، يمتزج بأسلوب التهكم الذي يُظهِرُ معنىً، غير المعنى المضمّر، وهو المقصود حقيقة، فينقدها قصد تغييرها، من خلال تعميق النظر فيها ومحاولة معالجتها. وتعتبر نصوص مقامات بديع الزمان الهمداني خطابا يتضمن أسلوب السخرية وفق صور عديدة، والذي يحمل بين طياته نقدا للمجتمع، بما فيه من نقائص وعيوب؛ حيث يعرض الهمداني من خلالها بعضا من مظاهر الحياة السائدة آنذاك، والتي كان يندد بها ضمنا، منها الاحتيال والكذبة والتسول... وغيرها من الطرق التي كانت وسائل للتكسب.

ويروم هذا المقال تسليط الضوء على مفهوم السخرية بعمق، باعتبارها تتداخل مع أسلوب الهزل والفكاهة، ثم سير أغوار أهم صور السخرية في مقامات الهمداني، والأنساق المضمرة فيها، والكشف عن دلالاتها.

الكلمات المفتاحية : نسق ؛ مضمّر ؛ سخرية؛ مقامات ؛ بديع الزمان الهمداني.

## Abstract

The ridicule is a method that includes the meaning of mockery, which carries the connotations of the paradox between the meaning of speech and the

راضية لرقم. \* larkemradia@gmail.com

author, and through which the writer or poet expressed his rejection of some social or political phenomena, without disclosing it, in a comic-sarcastic form, It is not the hidden meaning, which is the meaning of truth, and it criticizes it in order to change it, by deepening its consideration and trying to deal with it.

The texts of the (Maquamat) of Badie-Zaman Al-Hamadani are a speech that includes a method of ridicule according to many images, which carries with it a critique of the society, with its shortcomings . Hamdani presents some of the aspects of the prevailing life in that time , which he implicitly rejects it , including fraud, cunning and begging. .. And other ways that were means to earn. This article aims to shed light on the concept of irony in depth, as it overlaps with the methods of humor and then explore the most important images of irony in (Maquamat) of Hamadani, and the hidden patterns in them, and detect their significances .

**Keywords:** Pattern ; Hidden ; Ridicule; Maquamat ; Badie-Zaman Al-Hamadani



#### تمهيد:

تعد المقامات عبارة عن «حكاية قصيرة مثيرة مسجوعة، قد تتضمن أحياناً من الشعر وقد لا تتضمن، تدور حول مغامرة بطلٍ واحد ظريف، ذليق اللسان، عالم باللغة، خبير بدقائقها، يكتسب عيشه بالحيلة والكُديّة، وسيلته إلى ذلك قدرته اللغوية والأدبية، وهي تزخر بالحركة والحوار والسّجال، وقد تشتمل على مُلحة أو طُرفة، ويرويها راوية واحد»<sup>1</sup>، فالمقامة هي حكاية قصيرة يسرد راوية تفاصيل قصة بطلها المغامر؛ حيث يجتال على الناس ليكسب قوت يومه، ويتوسل بفصاحته إلى تحقيق مبتغاه.

أما الهمداني فهو أحمد بن الحسين يحيى بن السعيد الهمداني، أبو الفضل (358هـ - 398هـ)، المعروف بلقب "بديع الزمان الهمداني" ولد بهمدان ، لكنه انتقل إلى هراة بخرسان سنة 380هـ، ثم إلى نيسابور سنة 382هـ، ألّف مقامات ورسائل، كما أن له ديوان شعر، ولم ينل الهمداني الشهرة إلا بعد المساجلة التي دارت بينه وبين أبي بكر الخوارزمي، وذاع صيته أكثر بعد موت الخوارزمي<sup>2</sup>، وقد كان الهمداني «قوي الحافظة يُضرب المثل بحفظه. ويذكر أن أكثر "مقاماته" ارتجال، وأنه كان ربما يكتب الكتاب مبتدئاً بآخر سطوره ثم هلم جرا إلى السطر الأول فيخرجه ولا عيب فيه!»<sup>3</sup>

وقد تناولت مقامات بديع الزمان الهمذاني مختلف المواضيع الخاصة بجوانب الحياة المتعددة، وبعضها مرتبط بظاهرة الكُذبية التي برزت في العصر العباسي، والتي تتضمن دلالات التسول، الاحتيال، الاستجداء وكسب المال باستعمال المروعة والتحايل<sup>4</sup>؛ فبطل مقامات الهمذاني مكديٌّ، يستجدي الناس بحيله وفصاحة لسانه وطرافته وأدبه.

وتتعدد الآراء حول عدد مقامات الهمذاني، ويعرض مصطفى الشكعة هذه الآراء، ويصل في نهاية المطاف إلى تأييد رأي الثعالبي، والمتمثل في أن «عددتها أربعمائة واندثر منها أغلبها ولم يصلنا إلا القدر الصغير والبالغ الاثنان والخمسين مقامة»<sup>5</sup>

### أولاً: ضبط مفاهيم مصطلحات : السخرية، التهكم والفكاهة

اتخذت العديد من النصوص الأدبية طابع السخرية أسلوباً يميز لها، من بينها مقامات الهمذاني التي تعج نصوصها بمقاطع سردية مثيرة للسخرية والتهكم والفكاهة، من خلال وقائع وأحداث مروية تعرض لمواقف تتعلق بواقع المجتمع من عدة جوانب. وتهدف هذه الورقة البحثية إلى سبر أغوار أهم صور السخرية في مقامات الهمذاني، والأنساق المضمرة فيها، والكشف عن دلالاتها، لكن في البداية يجب توضيح مفاهيم بعض المصطلحات التي تتداخل دلالاتها فيما بينها، بغية الكشف عن الفارق الدلالي بينها، والمتمثلة في: السخرية، التهكم والفكاهة.

#### 1- مفهوم السخرية:

##### أ- لغة :

ترد كلمة سَخِرَ في معجم لسان العرب لابن منظور بمعنى الذل والخضوع والاستهزاء، حيث يقول ابن منظور: « سَخِرَ منه وبه سَخِرًا وسَخِرًا وسَخِرًا وسَخِرًا بالضم، وسَخِرَهُ وسَخِرِيَهُ: هزئ به ... وفي الحديث : أَسَخِرُ مَنِّي ... أي أَسْتَهْزِئُ بِي، السَخِرَةُ الضُّحْكَةُ، ورجلٌ سَخِرَةٌ: يسخِرُ من النَّاسِ ... ويقال : سَخِرْتُهُ أي قَهَرْتُهُ وَذَلَّلْتُهُ»<sup>6</sup>، ونجد كلمة سَخِرَ في القاموس المحيط بمعنى الاستهزاء<sup>7</sup>، وفي معجم مقاييس اللغة تدل لفظة سَخِرَ على الاحتقار والاستدلال<sup>8</sup>.

و وفق ما سبق، نجد أن جل المعاجم التي تطرقنا من خلالها إلى مفهوم السخرية قد أجمعت أن لفظة السخرية تتضمن دلالات: الخضوع، التذليل والاحتقار.

##### ب - اصطلاحاً:

تعد السخرية أسلوباً صَاحِبَ حياة الإنسان منذ القدم، ولطالما رصد مظاهر الحياة، فهي بمثابة « طريقة في التهكم المرير والتندر أو الهجاء الذي يطغى فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإخافة وفتكا»<sup>9</sup>، ويعرّفها نعمان محمد أمين طه بأنها "طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم، وهي صورة من صور الفكاهة تعرض السلوك المعوج أو الأخطاء التي إن فطن إليها وعرفها فتان موهوب تمام المعرفة، وأحسن عرضها، تكون حينئذ في يده سلاحا مميّتا"<sup>10</sup>

وتمثل السخرية أسلوباً أدبياً ينجح إلى استهجان ظاهرة ما، أو سلوك معين، بطريقة تقترب من التهكم، وهي تعبير عن رؤى الأديب الساخر اتجاه تناقضات الواقع وقضاياه؛ وبذلك فإن السخرية تلتقي في مفهومها بدلالات الفكاهة، التهكم والاستهزاء؛ فالسخرية ترتبط بالفكاهة لأنها تتضمن خطابها الساخر، وتعد من بين الأساليب التي تستدعي الضحك، لجمعها بين الجد والهزل، قصد تعبير الكاتب الساخر عن نقده لبعض الظواهر، والكشف عنها بشكل واضح في قالب هزلي، الغرض منه تعرية الواقع، والكشف عن سلبياته ومتناقضاته.

بالإضافة إلى أن السخرية « من أكثر أشكال الفكاهة أهمية، وهدفها عموماً، مهاجمة الوضع الراهن في الأخلاق والسياسة والسلوك والتفكير، وبالطبع فإن هذا الوضع الراهن لا بد من أن يكون محصلة لممارسات عدة خاطئة سابقة، مما ينذر بأخطار ينبغي التحذير منها، ويكون الأدب الساخر عموماً إحدى علامات هذا التحذير»<sup>11</sup>

## 2- التهكم

### أ- لغة:

يعرّف ابن منظور التهكم في لسان العرب بقوله: « الهَكْمُ : المَتَقَحُّمُ على ما لا يعنيه الذي يتعرّض للناس بشرّه... وَقَدْ تَهَكَّمَ على الأمرِ وَتَهَكَّمَ بنا: زرى علينا وَعَمِثَ بنا. وَتَهَكَّمَ له وَهَكَّمَهُ: غَنَاهُ... وَالتَّهَكُّمُ : الاستهزاء»<sup>12</sup>، ويرد مفهوم التهكم في القاموس المحيط بمعنى الاستهزاء، الغضب والتندم<sup>13</sup>

### ب - اصطلاحاً:

التهكم هو « شكل من أشكال الكلام أو (الخطاب) يكون المعنى المقصود منه عكس المعنى المعبر عنه بالكلمات المستخدمة، وغالبا ما يأخذ هذا المعنى أشكال الهجاء أو الاستهزاء الذي

تستخدم فيه تعبيرات هازئة ملتبسة كي تتضمن إدانة أو تحقيرا أو تقليلا ضمينا مستترا من شأن شخص أو موضوع أو كليهما معا<sup>14</sup>، والسخرية تلتقي معه، في كونها يدلان على الاستهزاء، والتذليل.

### 3- الفكاهة:

#### أ- لغة:

ورد في لسان العرب مفهوم لفظة فكّه في قوله: « رجل فكّه: يأكل الفاكهة... والفكّه الذي ينال من أعراض الناس... والفاكهة أيضا: الخلواء على التشبيه. وفكّههم بملح الكلام: أطرفهم... الفكاهة، بالفتح، مصدر فكّه الرجل، بالكسر، فهو فكّه إذا كان طيب النفس مزاحًا، والفاكهة: المزاح<sup>15</sup>، ويعرف الفيروز آبادي الفكاهة على نحو يقترب من مفهومها الوارد في لسان العرب؛ فحددها وفق دلالات: المزاح، والطرفة والضحك<sup>16</sup> وحسب التعريفين السابقين للفظه (فكّه)، فإن دلالة الفكاهة تتمحور حول دلالات: الطيبة، الطرفة، المزاح والتلطف في الحديث.

#### ب - اصطلاحا:

تومئ الفكاهة « إلى ذلك الاتجاه الباسم أو البسام أو الضاحك الساخر اتجاه الحياة واتجاه نقائصها، واتجاه مظاهر عدم اكتمالها، أي ذلك الاتجاه الذي يتضمن فهما خاصا لمظاهر التناقض في الوجود أو الحياة أو يتضمن شعورا خاصا بالتفوق مصحوبا بالبهجة، أو غير ذلك من الدوافع والمبررات<sup>17</sup>، وحين يكون « الغرض من الفكاهة ليس هو الإضحاك والضحك فحسب، وإنما هو- في كثير من الحالات- التقويم والتهذيب والإصلاح، بنقد أنواع من النقص أو القبح أو الخروج على المألوف، فإنه يشترط في هذا النقد ألا يجرح كما يجرح المهجاء<sup>18</sup>. ويمكن القول إن العلاقة بين السخرية والتهكم والفكاهة هي علاقة ترابط وتداخل؛ حيث إن السخرية ضمينا تنطوي على دلالات التهكم والفكاهة؛ باعتبار أن السخرية هي « نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس الانتقاد للذائل والحماقات والنقائص الإنسانية، الفردية منها والجمعية، كما لو كانت عملية الرصد، أو المراقبة لها، تجري هنا من خلال وسائل وأساليب خاصة في التهكم عليها، أو التقليل من قدرها، أو جعلها مثيرة للضحك، أو

غير ذلك من الأساليب التي يكون الهدف من ورائها محاولة التخلص من بعض الخصال والخصائص السلبية»<sup>19</sup>.

### ثانياً - صور السخرية في مقامات بديع الزمان الهمذاني:

اتخذت صور السخرية في مختلف مقامات الهمذاني شكلين مختلفين؛ حيث كان الهمذاني يهدف من خلالهما إلى نقد المجتمع بغية إصلاحه، والمحافظة على مقوماته، انطلاقاً من تقويم بعض المظاهر والسلوكيات، ويمكن إجمال الحديث عن هذين الشكلين من السخرية فيما يلي:

#### 1 - الفكاهة:

تعد الفكاهة من بين أساليب السخرية التي وظفها بديع الزمان الهمذاني، والتي تخفي نقداً لسلوك معين، من خلال تصوير شخصية تقوم بأدوار معينة في قصص بعض المقامات، والتي يقصد الهمذاني من خلالها تقييم ذلك السلوك، والدعوة غير المباشرة لتحلي أفراد المجتمع بالسلوك المناقض له، من ذلك مثلاً، ما رواه "عيسى بن هشام" في "المقامة البغدادية" عن احتياله على رجل يدعى "أبا عبيد"؛ حيث دعاه إلى الغذاء، وطلب له ما لذ وطاب من الشواء، على أساس أنه يضيّفه، وتقاسم معه ذلك الغذاء، ثم احتال عليه وغادره بحجة أنه سيحلب له الماء ليرتوي، وتركه يواجه الشواء بمفرده<sup>20</sup>

لقد انتقد الهمذاني سلوك الكُدية والاحتيال بأسلوب ساخر يمزج بالفكاهة، من خلال سخريته من سذاجة الرجل "أبو عبيد"، الذي استطاع "عيسى بن هشام" أن يحتال عليه بسهولة، فوضعه في موقف حرج، وفي الآن ذاته، يقدم نقداً ساخراً للكُدية، في قالب فكاهي، يختلط الجد فيه بالهزل؛ فقد « برزت ظاهرة الكُدية في عصر بديع الزمان الهمذاني بروزاً قوياً؛ فقد تردّت الحياة الاجتماعية تردياً بشعاً شنيعاً، من شأنه أن يؤدي الضمائر الأبية، والقلوب الذكية، ويزري بمروءة الرجل الكريم، ويغضّ من قدره »<sup>21</sup>

كما أن الشخص الذي يستهزئ الهمذاني منه، سواء كان عيسى بن هشام أو الإسكندري أو غيرهما، ليس هو الهدف بل الفعل أو السلوك الذي قام به، كالكُدية والاحتيال والخداع على سبيل المثال؛ وبالتالي فإن تصوير ذلك السلوك، في قالب فكاهي تهكمي ساخر، يتضمن إشارة إلى دعوة أفرادها إلى التحلي بالصفات المناقضة؛ ولعل ذلك سبب ارتباط الدعابة والفكاهة بأسلوب السخرية عند الهمذاني وغيره.

وتسعى الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني إلى الإحاطة بنقائص الفرد المسخور منه، وعبويه، والمبالغة في تصويرها، قصد جعل هذا الشخص مهانا وذليلا، وهي طريقة يلتمسها الهمذاني لمعالجة بعض الأفعال أو السلوكيات غير المستحبة؛ كسخرته مما يقوم به أبو الفتح الاسكندري في أغلب مقاماته، حين يجعل الكُذبة حرفة له، تضمن له قوت يومه.

وقد مزج الهمذاني بين السخرية والفكاهة قصد التلميح عمّا يعيشه أفراد الطبقة الفقيرة من المجتمع، من هموم ومشاكل ومعاناة؛ « فبديع الزمان قد اختار نموذجاً من الطبقة الدنيا من طبقات المجتمع، وصوّر من خلاله ومن خلال حيله التي يكتسب بها الرزق جوانب الحياة التي كانت تسود في عصره، سواء منها ما خبره بنفسه، أو كان يدور من حوله. وجاء ذلك في صورة فنية تبعث على التمرد والسخرية من الأوضاع التي كانت قائمة»<sup>22</sup>، فالمرج بين السخرية والفكاهة يعد من أنجع الطرق لنقد المجتمع وإبراز مساوئه، دون التصريح بالمعنى المقصود مباشرة.

كما ساهمت الفكاهة في الكشف عن بعض العادات والخصال الذميمة التي سادت المجتمع العباسي، وكثير من نوازع أفرادهم وأعماقهم النفسية، من ذلك مثلاً ما يروي الهمذاني في "المقامة الموصلية" من حيل الاسكندري وسخرته من الناس نتيجة تصديقهم لأكاذيبه الساذجة؛ حين ادّعى قدرته على إحياء الموتى، مقابل الظفر بالذهب والفضة، وكانت خدعته ستطوي على أهل الميت، لولا أن اكتشفوا أمره، وأعمالوا عليه بالضرب، واستطاع في النهاية الفرار منهم<sup>23</sup>

نجد أن الهمذاني قد روى قصة إحياء الميت في قالب فكاهي، لينتقد سذاجة القوم وسهولة الاحتيال عليهم، ويسخر من اعتقادات المجتمع الدينية، ويتجلى ذلك أكثر من خلال القصة الثانية التي يسرد تفاصيلها عيسى بن هشام في المقامة نفسها (الموصلية)، والتي تروي قصة احتيال الإسكندري على سكان كانوا يقطنون في قرية بها واد كثير الماء، والذي يهدم جوانب القرية، فيخشون سوءاً يصيبهم بسبب سيل ذلك الواد؛ إذ وعدهم بمساعدتهم، شرط أن يأتوه بجارية عذراء، ويذبحوا بقرة صفراء، ويصلوا ركعتين لله، وصدّق أهل القرية ما زعمه الإسكندري، وبينما هم يصلون الركعتين فرّ هو وعيسى بن هشام<sup>24</sup>، فتصير الفكاهة هنا وسيلة من وسائل الإصلاح ذات المنفعة المحدية، التي ترصد سلبيات المجتمع وتنقدها، وتحاول إصلاحه وتقويم سلوك أفرادها.

## 2 - التهكم:

ساءت الأوضاع السياسية والاجتماعية في العصر العباسي الذي عاش فيه الهمذاني، واضطرت أحوال الناس، ولم يستطع أحد من عامة الناس أو النخبة تغيير الوضع؛ حيث إن هذا العصر « مشحون بالفوضى في الحكم تفتت وانقسام، ومنافسة وصراع على المال، مما أدى إلى خلق طبقة وسطى في المجتمع، لها مطامح وآمال لا تقف عند حد»<sup>25</sup>، فلجأ الهمذاني حينها إلى التخفي خلف خطاب السخرية والتهكم؛ لنقد الأحوال الاجتماعية السائدة آنذاك، ليعبر عن مواقفه وآرائه نحوها، بطريقة غير مباشرة، بشكل تحكيمي ساخر؛ من ذلك مثلا، تصويره لشخصية الإسكندري الذي يمثل شخصية المكدي؛ حين يعتمد إلى طلب المساعدة والمال بالغش والخيانة والتضليل؛ في المقامة الأزادية؛ حيث يتجلى الإسكندري مثلثا، مخفيا حقيقته، وملحا على الناس في طلب المساعدة والإحسان<sup>26</sup>، بغية استعطفهم ونيل مساعدتهم، وفق هذه الحالة المزرية التي يتمظهر من خلالها، ونجد الهمذاني في هذا الموقف يسخر ويتهمك من سلوك الإسكندري، ومن ظاهرة الكُدية، فكشف حيل الاستجداء وأساليبه، بطريقة ساخرة وهزلية، يتخللها الكثير من التهكم، كما هو بارز في المقامة الأزادية<sup>27</sup>، والمقامة الجرجانية<sup>28</sup>، وهي أساليب ينجح إليها أفراد المجتمع قصد اقتناص الأموال التي حرموا منها عنوة، نتيجة إحساسهم بالحاجة والظلم من قبل المجتمع والحكام؛ فقد مثلت شخصية الإسكندري « صورة لفئة البائسين، طرداء المجتمع، ممن رزقوا مقدرات إنسانية وفنية، لم يُنح لهم مجتمعهم سبيل إفادة الآخرين بها، والتفّع منها؛ لأنه كان مجتمعا تدور قيمه على سلطان المال؛ فاتخذوا مواهبهم أحابيل للرزق، استغلالا لآفات المجتمع نفسه، وكشفًا لمعايبه، وما يتسلط عليه من علاقات اجتماعية وسياسية ظالمة »<sup>29</sup>؛ فلطالما تجلّى الإسكندري وفق شخصية شاب ذكي ومثقف، لكنه فقير، ويملك من المكر والفتنة والدعابة ما يمكّنه من الاحتيال على الناس لتحصيل المال، ثم يسخر من ضحيته نتيجة وقوعها في فخه، وفي آخر المقامة يتخذ الهمذاني أفعال هذا المحتال ذريعة للسخرية من فعل أو سلوك معين قام به، والتهكم منه؛ لينتقده، وهو غالبا ما يكون فعلا لا يمثل للقيم الاجتماعية أو الخلقية أو الدينية، وتبرّر غايته الوسيلة الموظفة لتحقيقه؛ مثال ذلك الحيلة التي احتالها الإسكندري على ضحاياه في المقامة الأصفهانية؛ حيث أوهمهم أنه رأى الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- في المنام، وعلمه دعاءً، وأوصاه أن يُعلّمه لأمته، فكتبه على أوراق بالمسك والطيب والزعفران، فمن يطلبه



منه وهبه إياه، ومن أشفق عليه عوضه ثمن القرطاس والطيب، فأنهالت على الاسكندري الدراهم،  
ظنا من الناس أنه يؤدي أمانة الرسول، ولم يطلب أجرا على ذلك<sup>30</sup>

لقد استطاع الإسكندري أن يخدع من كانوا بالمسجد، لسذاجتهم، فنجحت حيلته في  
الاستعطاء، وقد عمد الهمداني إلى ذلك، كي ينتقد ما كان سائدا في المجتمع آنذاك من سذاجة  
منحت لأمثال الإسكندري فرصة استغلال ذلك لتحقيق مآربهم، وفي الآن ذاته، يتهم الهمداني  
من كان إيمانهم ضعيف، ويمكن لأي كان أن يستغل ذلك الضعف لصالحه.

كما يعبر الحوار الأخير، الذي يختم الهمداني من خلاله أغلب مقاماته عن تهكم البطل  
الإسكندري من ضحيته التي انطوت عليها حيلته، ويسخر منها ضاحكا، بعد أن يجسن التخلص  
من المواقف المخرجة بسهولة ودكاء؛ حيث يعبر ذلك الحوار عن موقف يجمع بين الجد والهزل؛ إذ  
يُحوّل الإسكندري الموقف المخرج إلى موقف هزلي مضحك؛ كما نرى ذلك مثلا في المقامة  
الأصفهانية؛ حين يصرح الإسكندري ردا على استفسار عيسى بن هشام، أن الناس "مُحْمَرٌ"، وعليه  
أن يجاريهم في ذلك، لينال منهم ما يريد، دون أن يهتم لأمرهم<sup>31</sup>

وهو بذلك يصف أحوال المجتمع وأفراده، وأسلوب الاحتيال الذي طغى فيه، فصار ظاهرة  
اجتماعية بارزة، تمنح المُستجِد فرصة تحصيل المال بسهولة بفضل مكره وخدعه.

كما أن التهكم الذي يمتزج بالسخرية يجعل من الفرد المسخور منه ومن أفعاله في موقف  
ضعيف، فيمثل إلى التغيير المراد من قبل الساخر؛ وحينها يجعل الهمداني التهكم وسيلة «  
لتهذيب الفرد والمجتمع، والسعي بهما إلى مستوى أكثر تقدما، وأرقى حضارة؛ لأن الأديب حين  
يتهمك، فإنه يربط ما بين الأشياء والأمور الواقعة، وما يجب أن تكون عليه من مثل الكمال»<sup>32</sup>،  
فمثلا في "المقامة الحرزية"، نجد الهمداني يسخر ويتهمك من فئة البشر التي تؤمن بأن التمام تدفع  
الشر عن الإنسان، وتمنع عنه الموت، من خلال احتيال الإسكندري على مجموعة من الأفراد على  
متن سفينة، كان بها ثقب، فما إن أدرك الاسكندري خوفهم من الموت غرقا حتى احتال عليهم  
بفكرة تغنيه؛ فأخبرهم أنه يملك حرزا يقيهم من الغرق، فإذا باعهم إياه بدينار، ونجوا من الموت،  
أعطوه دينارا آخر، وانطوت الحيلة عليهم، وفاز الاسكندري بما لهم، وسلموا من الغرق<sup>33</sup>، ففي  
هذه المقامة يسخر الهمداني ويتهمك من المعتقدات السائدة في المجتمع العباسي آنذاك؛ حيث

يعتقد أفرادها أن التماثل تمنع الأذى عن الإنسان، وفي ذلك إجماع بضعف إيمانهم بالله، وعدم توكلهم عليه، واعتقادهم بالخرافات، لذلك استطاع الإسكندردي خداعهم بسهولة. لقد مزج بديع الزمان الهمداني بين السخرية والفكاهة والتهكم في مقاماته، ليعبر عن سخطه على وضع المجتمع العباسي آنذاك، ورفضه له، دون أن يصرح برأيه، بل أوماً إلى ذلك من خلال مغامرات بطل مقاماته أبي الفتح الإسكندردي، فإذا كان النسق الظاهر للسخرية في مقامات الهمداني هو خلق روح الفكاهة والدعابة والتهكم في ثنايا نصوصها، فما هي الأنساق المضمره خلف ذلك النسق الظاهر؟

### ثالثا - الأنساق المضمره للسخرية في مقامات الهمداني:

#### توطئة :

يأتي مفهوم النسق في المعاجم العربية وفق دلالة النظام والتتابع، فقد ورد في المعجم الوسيط: « نَسَقَ الْكَلَامَ: عَطَفَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ. وَالنَّسْقُ، مُحْرَكَةً: مَا جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ... وَالنَّسِيقُ: التَّنْظِيمُ. وَنَاسَقَ بَيْنَهُمَا: تَابَعَ.»<sup>34</sup> وجاء في لسان العرب: « النَّسَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةٍ نِظَامٍ وَاحِدٍ عَامٍ فِي الْأَشْيَاءِ... يُقَالُ نَاسَقُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَيْ تَابَعَ بَيْنَهُمَا»<sup>35</sup>.

أما اصطلاحا، فإن النسق يعد عبارة عن « نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق »<sup>36</sup> كما أن النسق « يرتكز على معايير وقيم تشكل مع الفاعلين الآخرين جزءا من بيئة الفاعلين »<sup>37</sup>، فالنسق إذا هو بمثابة نظام يتغلغل داخل المجتمع، فيحاول التأثير في أفرادها، قصد توجيههم، ليمتلك القدرة في النهاية على السيطرة عليهم.

ويرى الغدامي أنه « يجري استخدام النسق كثيرا في الخطاب العام والخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوّه دلالتها، وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط، وقد تأتي مرادفة لمعنى البنية Structure، أو معنى النظام System حسب مصطلح دي سوسير »<sup>38</sup>

وقد دعا الغدامي إلى « إعلان موت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي مكانه، والهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتسويقه بغض النظر عن عيوبه النسقية، إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه »<sup>39</sup>

كما يتحدد النسق حسب الغدامي « عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب: أحدهما ظاهر والآخر مضمّر، ويكون المضمّر ناقضا ناسخا للظاهر. ويكون ذلك في نص واحد، أو في ما هو في حكم النص الواحد »<sup>40</sup>

تفتح دراسة الأنساق في النصوص الأدبية على سياقاتها التاريخية والثقافية والإجتماعية؛ حيث تتضمن تلك النصوص أنساقا مضمرة، لا يتم الكشف عنها وعن دلالاتها إلا عبر تلك السياقات؛ إذ « تكمن خاصية النسق، دائما، بقدرته على الانفلات، والبناء، والبناء/إعادة البناء، والتمايز، والتحويل، والتوليد؛ أي أنه بهذا المفهوم نسق عابر للمرجعيات المتعددة للخطاب »<sup>41</sup>

إن للنسق دلالات مضمرة وخفية في مضامين السخرية في نصوص مقامات الهمداني، وتتعدد صورته ليتنوع وفق ما يخفيه الخطاب السردي للمقامات، والتي يحددها السياق الثقافي للمجتمع العباسي حسب طبقاته المختلفة وفئاته؛ فالنسق « ذو طبيعة سردية، يتحرك في حبكة متقنة، ولذا فهو خفي ومضمّر وقادر على الاختفاء دائما، ويستخدم أفعلة كثيرة أهمها قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجمالياتها تمرّ الأنساق آمنة مطمئنة »<sup>42</sup>، ولم يفصح الهمداني عن هذه الأنساق، لأنه لم يكن في نيته ووعيه ذلك، وإنما نشأت نتيجة تواتر ورودها ضمن نصوص المقامات، حتى تكونت وصارت نسقا مضمرا ينتظم داخل نصوصها؛ لذا فالنسق « من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منكبته ومنغرسه في الخطاب، مؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء »<sup>43</sup>

و نحاول في هذا العنصر الأخير من هذا البحث الكشف عن مختلف الأنساق المضمرة للسخرية ودلالاتها في مقامات بديع الزمان الهمداني، من خلال الخطاب الساهر المتضمن فيها؛ حيث يسخر الهمداني من أوضاع المجتمع التي عاشها، فامتألت نفسه سخطا، و رفضا لها؛ فكثرت عن ذلك، من خلال نسجه لقصص مغامرات بطل مقاماته الإسكندري.

## 1- النسق الاجتماعي:

يتعرّف قارئ مقامات الهمذاني في كل مقامة على صورة من صور شخصية الإسكندري؛ والتي تكوّن من خلال متابعة القراءة لجل المقامات أشكالا للكُذبية التي تفتشت في المجتمع العباسي، فسادت سلطة المال، وظهرت فئة المحتالين، وتحلّى ذلك في مقامات عديدة؛ كالمقامة الساسانية<sup>44</sup>، والمقامة القزوينية<sup>45</sup>، والمقامة البخارية<sup>46</sup>، والمقامة الأزادية<sup>47</sup>، وغيرها.

كما نجد الإسكندري يحتال على الناس في المقامة المكفوفية، ليكسب عطفهم وشفقتهم؛ فيدّعي أنه مكفوف، وصاحب دَيْن، وأنه قد تغير حاله إلى فقر بعد غنى، فرقت له قلوب السامعين، ومن بينهم "عيسى بن هشام" الذي تعرّف عليه في النهاية، وتفظّن إلى حيلته<sup>48</sup>.

وكثيرا ما عبّر عيسى بن هشام عن عدم إعجابه بخدع أبي الفتح الاسكندري، وينكر ذلك؛ و« يتكرر الإنكار كثيرا في المقامات سواء كان مبعثه الغضب أو المداعبة ويشير إلى تصادم رؤيتين متناقضتين. سلوك أبي الفتح هو على النقيض من السلوك الذي يتبناه أو يتمناه عيسى بن هشام، غير أنه لا بد من إضافة أن هذا الأخير، رغم كونه القائم بالسرد، لا يملك وضعاً متميزاً، فمخاطبه يحاوره، ويعرض موقفه بنفسه، ويؤكد بذلك أنه ذات تمتلك نفس الحقوق»<sup>49</sup>، وبالتالي فإن ذلك الصراع القائم بين شخصيتي عيسى بن هشام والإسكندري يحاكي النزاع الموجود في المجتمع بين نوعين من الأفراد؛ كل منهما يحاول إثبات وجوده، غير أن الانتصار كان في الغالب للمكدي (الاسكندري) الذي يحقق هدفه من خلال الاحتيال، في حين تتمظهر شخصية عيسى بن هشام كوسيلة لإبراز صورة المجتمع العباسي القائم على الصراع بين المتناقضين، والطبقية؛ باعتبار أنه « لا تقف الـ "أنا" بمعزل عن قالب مهيم من المعايير الأخلاقية والأطر الخلقية المتصارعة. ويعدّ هذا القالب بمعنى هام الشرط لنشوء الـ "أنا" أيضا»<sup>50</sup>، وكذلك ظاهرة التسول التي صوّرها الهمذاني في بعض مقاماته، وخصوصا المقامة الدينارية<sup>51</sup>، التي تحاكي تكسب الفقراء من خلال إلحاحهم على طلب المال من الناس.

لقد عبّر سلوك المكدي عن رغبته في الخروج عن سلطة المجتمع و أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية، والتي تمثل المركز المتحكم في شؤونه ونمط حياته، ومحاولته التخلص من الشعور بالتهميش والانحزام؛ لذا فهو يحتال على الناس ليحقق لنفسه انتصارا على المركز الذي سلبه أبسط حقوقه، معبرا عن « الحقد على الدهر وصروفه، ومحاولته الهرب من بؤسه وشقائه بالتسول

والاستجداء، وما في ذلك من نقد مرير لمجتمعه، وتمرد عنيف على أوضاعه الظالمة القاسية»<sup>52</sup>؛ وبالتالي تكشف سخرية الهمذاني من احتيال المكدي عن نسق ثقافي مضمحل ومضمر يمثل وضعاً اجتماعياً شهدته الهمذاني، والذي يمثل هوية المجتمع العباسي آنذاك، باعتباره «مواضعة (اجتماعية، دينية، أخلاقية، استيعابية...)» تفرضها، في لحظة معينة من تطورها، الوضعية الاجتماعية، والتي يقبلها ضمنياً المؤلف وجمهوره»<sup>53</sup>

وبالرغم من أن الاسكندري كان دائماً متنكراً ومتخفياً، إلا أنه يتم التعرف عليه من قبل "عيسى بن هشام" وكشف حقيقته، وهذا يوحي بأن ظاهرة الكُدية كانت متفشية وبارزة في المجتمع العباسي آنذاك؛ بحيث أن المستجدي (الاسكندري) كان يستخدم قناع الفقر كي يحتال على ضحاياه؛ باعتبار أن ذلك القناع هو عبارة عن «مجموعة معقدة من العلاقات بين الوعي الفردي والمجتمع، وهو مكيف للغايات المخصصة له، يرتديه الفرد أو ينزلق فيه، أو يتملك هو الفرد ويستحوذ عليه من حيث لا يدري. إنه محسوب ومنظم ومصنع بهذا الشكل لأنه يرمي إلى خلق انطباع ما عند الآخرين من جهة، وإلى إخفاء وتورية وتمويه طبيعة الفرد الحققة من جهة أخرى»<sup>54</sup>

يعد الهمذاني من خلال كشفه لما كان سائداً في المجتمع «ناقداً حقيقياً، لديه حساسية لنقائص المجتمع فيسخر بهدف الإصلاح، لتكون العملية هنا في قمة العمل الإيجابي البناء، ومحاولة لطيفة مهذبة، الغرض منها تطهير المجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور، وتناهض الحركة نحو المستقبل، والتخلص من العوامل التي تهدد الحياة بالتوقف أو البطء... ذلك أن حرص المجتمع على كيانه يثير فيه روح المقاومة والدفاع عن النفس، ليرد على المهاجمين المنتقصين للأمة كلّها من أعدائها، أو الخارجين على قواعدها ونظامها من أبنائها، لإعادتهم إلى الطريق الصحيح، والتخلي عن عاداتهم المرفوضة في مجتمعهم»<sup>55</sup>، فحين سرد بديع الزمان الهمذاني مغامرات بطل مقاماته، لم يكن هدفه منها، الفكاهة أو التهكم مما كان يراه في مجتمعه، من أفعال أو سلوكيات تناقض القيم النبيلة؛ والذي يعد النسق الظاهر للسخرية، بل اتخذها وسيلة للتعبير عن قضايا اجتماعية، قصد نقد مجتمعه وإصلاحه، وتحقيق التوازن لأفراده؛ وهنا يتجلى النسق المضمحل للسخرية .

## 2- النسق الأدبي:

يتمظهر الإسكندري في بعض المقامات أنه رجل له علم بالأدب والشعر، وذو ثقافة واسعة، ويملك من الفصاحة والبيان ما كان من المفروض أن يحقق له مكانة مرموقة في المجتمع، لكنه في الواقع يعيش حياة ذليلة، ويكسب قوت يومه من خلال الاحتيال على الناس بذكائه وبلاغته وفصاحته، وفي ذلك إنقاص من قيمة الأدباء الذين عانوا من ظروف الحياة القاسية، فجعلوا من أدبهم وسيلة للتكسب؛ ويتجلى ذلك بوضوح في المقامة العراقية؛ إذ يتمظهر الإسكندري مرتديا ثيابا رثة، فصيح اللسان، وقد كان يطلب من المارين مساعدة مالية، لكن دون جدوى، فلا أحد يلتفت إليه، فانتبه إلى أمره عيسى بن هشام؛ إذ أعجبتة فصاحة لسانه، فسأله عن سرها، فقال: « من العلم. رضى صعبه وخضت بحاره. فقلت: بأي العلوم تتحلّى؟ فقال: لي في كل كنانة سهم فأيتها تحسن؟ فقلت الشعر... »<sup>56</sup>، ثم جعل الاسكندري يسأل عيسى بن هشام عمّا نظمه الشعراء العرب من الشعر، من قبيل « هل قالت العرب بيتا لا يمكن حلّه وهل نظمت مدحا لم يعرف أهله. وهل لها بيت سُمجّ وضعه... »<sup>57</sup>، فعجز عيسى بن هشام عن الإجابة عنها كلها، ففسرها له الإسكندري، فاستغرب عيسى بن هشام حال الإسكندري من عوز وفقر وحاجة، ورضا بالذل والهوان، فكان رد الاسكندري حكيما، يحاكي حال الأديب في المجتمع العباسي آنذاك؛ إذ قال:

بُؤْسًا لِهَذَا الزَّمَانِ مِنْ زَمَنِ كَلُّ تَصَارِيفِ أَمْرِهِ عَجَبٌ  
أَصْبَحَ خَزْيًا لِكُلِّ ذِي أَدَبٍ كَأَنَّمَا سَاءَ أُمَّهُ الْأَدَبُ<sup>58</sup>

يقر الإسكندري بحقيقة الواقع الذي يعيشه المثقف والأديب في العصر العباسي، وما يعانیه من تهميش وبؤس، ومكانة ذليلة في المجتمع، وبذلك يكون الهمداني قد أبرز علاقة المثقف بالمجتمع من خلال سخريته من حال الإسكندري، وهو نسق آخر مضمّر خلف وضع الإسكندري.

و في سياق آخر يقدم الهمداني من خلال بعض مقاماته أحكاما حول بعض الشعراء من العصر الجاهلي والإسلامي، مثل: امرئ القيس، النابغة الذبياني، زهير بن أبي سلمى، طرفة بن العبد، جرير، والفرزدق، على لسان بطل مقاماته "الإسكندري" حين سُئل عن رأيه في شعر أولئك الشعراء<sup>59</sup>، وفي مقابل علم الإسكندري الغزير بالشعر والشعراء القدماء، كان يعيش حياة

قاسية؛ فهو فقير معدم، يرتدي الملابس البالية، بعد تغير حاله من اليسر إلى العسر؛ وهكذا أخبر عن نفسه، حين سُئل عن أخباره وشعره<sup>60</sup>.

وبذلك يؤكد الهمداني الواقع الذي يعيشه الأدباء والمثقفون في المجتمع العباسي، من خلال وصفه المتكرر لحال الإسكندري المعدم، هذا من جهة، كما أنه قد أعرب، من جهة أخرى، عن آرائه حول الشعر العربي، وأعطى أحكاما حول بعض الأبيات الشعرية لمختلف الشعراء<sup>61</sup> ونجد الهمداني في المقامة الجاحظية يقيّم الجاحظ؛ حيث عاب عليه عدم نظمه شعرا جيدا، مقارنة بما ألفه في النثر؛ إذ يقول الهمداني على لسان أبي الفتح الاسكندري: «إن الجاحظ في أحد شغبي البلاغة يقطف. وفي الآخر يقف. والبلغ من لم يقصّر نظمه عن نثره. ولم يُزِر كلامه بشعره. فهل تزوون للجاحظ شعرا رائعا؟ قلنا: لا»<sup>62</sup>، فقد حكم بديع الزمان الهمداني على شعر الجاحظ بأنه أقل جودة من نثره، ونلمس من حكمه ذلك سخريّة من مكانة الجاحظ الأدبية، رغم ما ألفه في مجال النثر، مما يؤكد هيمنة نسق قيمة الشعر لدى الأدباء والنقاد القدماء مقارنة بمنزلة النثر، ولعل ذلك كان سببا في إبراز الهمداني من خلال بعض مقاماته ثقافته الشعرية والنقدية، من خلال اطلاعه على شعر الشعراء القدامى، على اختلاف عصورهم، ومعرفة بخصائص شعرهم، فقد أصدر أحكاما حول شعر بعضهم، وأدرج أشعارا كثيرة لشعراء من مختلف العصور في مختلف مقاماته، على سبيل الاستشهاد بها، حسب سياق مواضيع مقاماته<sup>63</sup>.

### 3- النسق الديني:

يتمظهر هذا النسق من خلال أشكال الخرافة والدجل باسم الدين، والتي يسرد تفاصيلها الراوي عيسى بن هشام، ويوظفها الاسكندري بطل مقامات الهمداني، لإيقاع ضحاياه من السذج في شبابه لأخذ أموالهم، والتي تصوّر ما كان سائدا في المجتمع العباسي آنذاك من خرافات ومعتقدات، ساخرا من تصديق الناس لها، رغم عدم تقبلها لا من قبل العقل ولا الدين، ويظهر ذلك جليا في المقامة الموصلية<sup>64</sup>؛ إذ نجد الاسكندري يحتال على قوم، بادعائه امتلاك القدرة على إحياء الميت مقابل الظفر بالذهب والفضة، لكن أهل الميت اكتشفوا أمره في النهاية، وانحالوا عليه بالضرب، لكنه استطاع الفرار، فالهمداني في هذه المقامة، ينتقد ضعف إيمان الناس في العصر العباسي، وتصديقهم لكذبة الاسكندري، ساخرا منهم ومن سذجتهم.

وتكشف المقامة الحرزية<sup>65</sup> عن اعتقادات الناس في المجتمع العباسي، والبعيدة كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامي؛ حيث إن الهمداني ينتقد من خلالها أفراد مجتمعه الذين يؤمنون بفعالية التمام، ويُصدّقون أنها تقيهم من الموت، وقد استغل الاسكندري ذلك، فاحتال على مجموعة من الأفراد، كانوا مسافرين على متن سفينة فيها ثقب، فطلب منهم إعطائه دينارا مقابل حُرْزٍ يمنع عنهم الموت، ودينارا آخر بعد نجاحهم.

كما تعبّر المقامة الأصفهانية<sup>66</sup> عن سذاجة الناس؛ نتيجة تصديقهم للإسكندري، حين أخبرهم أنه رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المنام وأعطاه دعاء، فباعهم إياه.

ومما سبق يتضح أن سخرية الهمداني كانت من أفراد المجتمع العباسي، الذين اتخذوا الدين وسيلة للتكسب، عن طريق الكُديّة والاحتيال؛ حيث تمظهر ذلك من خلال احتيال الاسكندري على القوم، وساعده في ذلك سذاجة بعضهم، واعتقاداتهم الخاطئة، والمخالفة لتعاليم الدين؛ وقد كشف ذلك النسق المضمّر خلف تلك السخرية، والمتمثل في إبراز علاقة أفراد المجتمع بذلك « الكلب المركب الذي يشمل: المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف، وجميع المقدمات، والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع »<sup>67</sup>؛ حيث قدّم الهمداني صورة واضحة عن علاقة الفرد بالدين والأخلاق والعرف والمعتقدات السائدة في المجتمع العباسي.

#### 4- النسق السياسي:

يكشف الهمداني عن علاقة السلطة الحاكمة بالرعية، ومظاهر الفساد في حكم القضاة، من خلال سخريته من الواقع السياسي في المجتمع العباسي آنذاك، وهو نقد للوضع السائد، ورغبة في تغييره، وهو النسق المضمّر؛ حيث يصف الهمداني القضاة بسخرية لاذعة، في المقامة النيسابورية؛ إذ ينعته بصفات بذيمة لا أخلاقية، فأثناء حديثه عن أحد القضاة، وصفه بأكل أموال اليتامى، وأموال الناس من دون حق، وشبهه باللص الذي يسرق أموال الناس، ولا يمنح الضعفاء والفقراء حقوقهم، في حين يعطي الأقوياء ما يفوق ويتعدى حقوقهم، كي لا يفضحون أمره، رغم أن مظهره يوحي بأنه إنسان تقي ومتدين وصالح؛ لذا فهو يطن غير ما يظهر<sup>68</sup>؛ إذ يقول الهمداني على لسان الإسكندري، حين سأله عيسى بن هشام عن هوية رجل، فأجابه: « هذا سوسٌ لا يقع إلا في صوف الأيتام، وجرادٌ لا يسقط إلا على الزرع الحرام، ولصٌ لا ينقب إلا



خزانة الأوقاف، وكردية لا يُغير إلا على الضعاف، وذئب لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والشُّجود، ومحارب لا يتهب مال الله إلا بين العهود والشُّهود»<sup>69</sup>

فقد لجأ بديع الزمان الهمذاني إلى السخرية والتهكم من وضع هذا القاضي؛ ليرمز إلى وضع السلطة الحاكمة وعلاقتها بأفراد المجتمع، وخصوصا الضعفاء منهم؛ لأنه لا يستطيع التعبير عن ذلك بشكل صريح، فاضطر إلى أسلوب الإيماء الساخر، ليجعله سلاحا لنقد حال القضاة والسلطة في عصره، قصد نقد تلك السياسة، ورغبة منه في إعلاء صوت الثقافة على السلطة والسياسة، وهذا ما أكدته "تيري إيجلتون" Terry Eagleton حين قال: «أن نعلي الثقافة على السياسة - أن نكون بشرا أولا، ومواطنين ثانيا - يعني أن على السياسة أن تتحرك ضمن بعد أخلاقي عميق، معتمدة على ما توفره من موارد، في جعلها الأفراد مواطنين صالحين، يشعرون بالمسؤولية ويتسمون بالاعتدال والطباع الحسنة»<sup>70</sup>

وفق ما سبق يمكن القول إن «مقاربة النصوص السردية في التراث العربي لا يمكن أن تتم عبر فصلها عن موضوعها الثقافي، في زمن كتابتها وفي زمن قراءتها، ومقاربتها بوصفها نصوصا أدبية يجب البحث في أدبيتها فقط، وإنما لابد من الكشف عن الترابط بين الأدبي فيها والثقافي العام المرتبط بالوعي العربي عموما، في زمنها (الكتابي والقرائي) لكي تنكشف صورتها الفاعلة والمتفاعلة مع الحفريات السابقة عليها والمعاصرة لها ووعي القارئ النموذجي الذي يلامس إشارتها ويطورها باعتبار المحكيات السردية نصوصا مفتوحة وليست مغلقة»<sup>71</sup>، فقد انفتحت نصوص مقامات الهمذاني على واقع عاشه، وسير أغواره، فأخرجه في نسيج أدبي ساخر يعبر عن رؤيته لمجتمعه، وانتقاده له، من مختلف الزوايا، بشكل غير مباشر، مما جعل أنساق هذه النصوص مضمرة، لا تظهر إلا من خلال العلاقة التي تجمع بينها وبين سياقاتها الخارجية المتعلقة بزمن تأليفها.

خاتمة:

تمكنت في نهاية هذه الورقة البحثية من رصد النتائج الآتية:

- أتاحت السخرية المتضمنة في نصوص مقامات الهمذاني تعرية الواقع الذي كان سائدا في المجتمع العباسي؛ إذ تمكن الهمذاني من خلق سياق لنقد كل سلوك منبوذ، وفق حادثة أو قصة طريفة، ليست هي الهدف بالدرجة الأولى، لكنها الوعاء الحامل لذلك النقد غير المباشر للمجتمع

- وأفراده، لتبدو أكثر تأثيرا وإقناعا، وبذلك تصبح السخرية وسيلة تخفى الهمداني خلف ستارها، للإيماء بما في جعبته من نقد اجتماعي، ديني، أدبي وسياسي للمجتمع.
- لقد استطاع الهمداني تتبع أحوال المجتمع، وتصويرها ضمن إطار متجانس من الفكاهة والسخرية والتهكم، ناهيك عن أسلوبها الأدبي والفني، قصد نقد تلك الأحوال، معبرا عن آرائه اتجاهها، وإصلاح المجتمع وتقويمه
- ذكر الهمداني استخدام الاسكندري عدة طرق و وسائل للكُديبة، من بينها براعة حوارهِ وفصاحة لسانه، والمراوغة والاحتيال من خلال ادّعاء العمى أو الفقر الشديد والدين، والتي كانت بمثابة منفذ لكشف ما كان سائدا في المجتمع من طبقيّة واحتيال وفساد، ولجوء الفقراء إلى الاستجداء لكسب قوت يومهم.
- تمثل شخصية الإسكندري الساخرة أشكالا متعددة للأنساق المضمرة في المجتمع العباسي، من خلال معالم تلك الشخصية ومغامراتها المختلفة التي هدفها تحصيل المال عن طريق الاحتيال.
- لقد كان للسخرية في مقامات الهمداني نسقين؛ أحدهما ظاهر للمتلقى، والمتمثل في بعث روح الفكاهة والتهكم في نصوص المقامات، في حين تجلّى النسق المضمّر في كشف واقع الحياة في العصر العباسي من عدة نواحي؛ كالاقتصادية، الدينية، الأدبية والسياسية.
- كشفت الأنساق المضمرة المتضمنة في ثانيا نصوص مقامات الهمداني عن تلك البنى النسقية العميقة، والتي تهيمن على أفراد المجتمع، وتوجه خطاب العديد من المقامات، من خلال النسق الظاهر المتمثل في خطابها الساخر.

#### هوامش:

- <sup>1</sup> علي عبد المنعم عبد الحميد، النموذج الإنساني في أدب المقامة، مكتبة لبنان ناشرون(لبنان)، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان(الجيزة)، ط(1)، 1994، ص 16.
- <sup>2</sup> خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الجزء (1)، دار العلم للملايين(بيروت)، ط(15)، 2002، ص 115، 116.
- <sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 115.
- <sup>4</sup> ينظر: سيف محمد سعيد المحروفي، نماذج إنسانية في السرد العربي القديم، دار الكتب الوطنية - هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، "الجمع النقابي" (أبو ظبي)، ط(1)، 2010، ص 100.

- <sup>5</sup> مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني، رائد القصة القصيرة والمقالة الصحفية، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة)، ط(1)، 2003، ص323.
- <sup>6</sup> أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، المجلد(12)، دار صادر (بيروت)، 1990، ص ص 352،353.
- <sup>7</sup> ينظر: مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط(8)، 2005، ص 1171.
- <sup>8</sup> ينظر: أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط(1)، 2001، ص487.
- <sup>9</sup> نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار حامد (عمان)، ط(1)، 2012، ص 16.
- <sup>10</sup> نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة (القاهرة)، ط(1)، 1978، ص 13.
- <sup>11</sup> شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك - رؤية جديدة، عالم المعرفة، 2003، ص 52.
- <sup>12</sup> ابن منظور، لسان العرب، المجلد (12)، ص617.
- <sup>13</sup> ينظر: مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1171.
- <sup>14</sup> شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك، ص 44.
- <sup>15</sup> ابن منظور، لسان العرب، المجلد (13)، ص 523.
- <sup>16</sup> ينظر: مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1250.
- <sup>17</sup> شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك، ص16.
- <sup>18</sup> أحمد محمد الحوفي، الفكاهة في الأدب العربي، أصولها وأنواعها، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، 2001، ص9.
- <sup>19</sup> شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك، ص51.
- <sup>20</sup> مقامات بديع الزمان الهمذاني، قدم لها وشرح غوامضها: الإمام العلامة الشيخ محمد عبده، منشورات محمد علي بيضون، در الكتب العلمية (بيروت)، ط (3)، 2005، ص ص 71-74.
- <sup>21</sup> علي عبد المنعم عبد الحميد، النموذج الإنساني في أدب المقامة، ص51.
- <sup>22</sup> المرجع نفسه، ص 63.
- <sup>23</sup> ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني، تقدم: محمد عبده، المقامة الموصلية، ص118.
- <sup>24</sup> المصدر نفسه، ص ص 118-120.

- <sup>25</sup> نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار الجامد للنشر والتوزيع (عمان)، ط(1)، 2012، ص 91.
- <sup>26</sup> ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني، تقلم: محمد عبده، ص 13.
- <sup>27</sup> المصدر نفسه، ص ص 12-16.
- <sup>28</sup> المصدر نفسه، ص ص 56-61.
- <sup>29</sup> علي عبد المنعم عبد الحميد، النموذج الإنساني في أدب المقامة، ص 63.
- <sup>30</sup> ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني، تقلم: محمد عبده، ص 65.
- <sup>31</sup> المصدر نفسه، ص 66.
- <sup>32</sup> سعيد أحمد عبد العاطي غراب، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين، دراسة وتحليل ونقد، دار العلم والإيمان (مصر)، ط(1)، 2009، ص 86.
- <sup>33</sup> ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني، تقلم: محمد عبده، المقامة الحزبية، ص ص 137-139.
- <sup>34</sup> محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 925.
- <sup>35</sup> ابن منظور، لسان العرب، المجلد (6)، ص 179.
- <sup>36</sup> إيديث كوزيل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح (الكويت)، ط(1) 1993، ص 411.
- <sup>37</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- <sup>38</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء)، ط (1)، 2000، ص 76.
- <sup>39</sup> المرجع نفسه، ص 35.
- <sup>40</sup> المرجع نفسه، ص 80.
- <sup>41</sup> يوسف محمود عليجات، النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع (عمان)، ط(1)، 2015، ص 21.
- <sup>42</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 79.
- <sup>43</sup> المرجع نفسه، ص 82.
- <sup>44</sup> ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني، تقلم: محمد عبده، ص ص 108-112.
- <sup>45</sup> المصدر نفسه، ص ص 102-107.
- <sup>46</sup> المصدر نفسه، ص ص 97-101.
- <sup>47</sup> المصدر نفسه، ص ص 12-15.
- <sup>48</sup> المصدر نفسه، ص ص 93-96.

- <sup>49</sup> ينظر: عبد الفتاح كليطو، المقامات السرد والأنساق الثقافية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر (الدار البيضاء)، ط(2)، 2001، ص52.
- <sup>50</sup> جوديث بتلر، الذات تصف نفسها، ترجمة: فلاح رحيم، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت)، ط(1)، 2014، ص45.
- <sup>51</sup> ينظر: مقامات بديع الزمان الهمداني، تقديم: محمد عبده، ص ص 246-251.
- <sup>52</sup> علي عبد المنعم عبد الحميد، النموذج الإنساني في أدب المقامة، ص 71.
- <sup>53</sup> عبد الفتاح كليطو، المقامات - السرد والأنساق الثقافية، ص 8.
- <sup>54</sup> كارل غوستاف يونغ، جدلية الأنا واللاوعي، ترجمة: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع (سورية)، ط(1)، 1997، ص117.
- <sup>55</sup> نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص ص 23، 24.
- <sup>56</sup> مقامات بديع الزمان الهمداني، تقديم: محمد عبده، المقامة العراقية، ص ص 165، 166.
- <sup>57</sup> المصدر نفسه، ص 165.
- <sup>58</sup> المصدر نفسه، ص 167.
- <sup>59</sup> المصدر نفسه، المقامة القريضية، ص ص 8-10.
- <sup>60</sup> المصدر نفسه، المقامة القريضية، ص 10.
- <sup>61</sup> المصدر نفسه، المقامة الشعرية، ص ص 252-256، المقامة العراقية، ص ص 164-173.
- <sup>62</sup> المصدر نفسه، المقامة الجاحظية، ص ص 89، 90.
- <sup>63</sup> المصدر نفسه، المقامة الجرجانية؛ حيث وظف الهمداني خلالها بيتين للشاعر زهير بن أبي سلمى، ص 57، والمقامة الإبلسية التي وظف خلالها الهمداني بيتا للشاعر جرير، ص ص 208، 209.
- <sup>64</sup> المصدر نفسه، ص ص 115-121.
- <sup>65</sup> المصدر نفسه، ص ص 137-140.
- <sup>66</sup> المصدر نفسه، ص ص 62-66.
- <sup>67</sup> ينظر: مفهوم الثقافة عند "تايلور" ضمن كتاب: زيودين ساردار، بوردين فان لون، الدراسات الثقافية، ترجمة: وفاء عبد القادر، مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة)، عدد 558، 2003، ص5.
- <sup>68</sup> مقامات بديع الزمان الهمداني، المقامة النيسابورية، هامش ص ص 227، 228.
- <sup>69</sup> المصدر نفسه، ص ص 227، 228.
- <sup>70</sup> تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، ترجمة: نائر ديب، دار حوار (اللاذقية)، ط 2000، ص ص 25، 26.

<sup>71</sup> يوسف إسماعيل، محكميات السرد العربي القديم، مقارنة لأدبيات العلاقة بين السلطة والمثقف، دراسة في البنية الحكائية لحكاية الأسد والغواص، منشورات اتحاد الكتاب العرب(دمشق)، 2008، ص ص 11، 12.